اسم الدرس : تفسير سورة الضحى

تصنيف الدرس : خطبة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[الأنعام:١]، { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا}[الكهف:١]، الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه.

وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد -صلى الله عليه وسلم-، ما ترك خيرًا إلا ودلَّنا عليه وما ترك شرًّا إلا وحذَّرنا منه، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلاةً وسلامًا دائمَين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[ال عمران:١٠٢]أما بعد:

أحبتي في الله.. من رحمة الله -عز وجل- بخلقه أنه لم يتركهم سدًى، ولكن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب؛ ليكونوا على بينة من أمرهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

من رحمته -سبحانه وتعالى- ولطفه بعباده أنه أنزل إلينا القرآن، أنه تكلم بهذا القرآن وحفظه من التبديل والتغيير والتحريف، من رحمته سبحانه وتعالى بنا أن مَنَّ على هذه الأمة بالقرآن وبالوحي، وحفظه من التبديل، فمِن شُكرِ هذه النعمة أن نتمسَّك بالقرآن.

قال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: (تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا)[1]، لم يقل أمسكتم ولكن قال تمسَّكتم، أي: بَذْلُ الجهد للتمسُّك بالقرآن، وكأنَّ هناك من يحاول أن ينزِع منّا القرآن، فنحن نجاهد لنتمسّك به؛ كما قال ربنا لنبيه -صلى الله عليه وسلم- في سورة الزخرف: {فاستمسك بالذي أوحي إليك}[الزخرف:٤٣]، كأن الله -عز وجل- يعلّمنا أن هناك من يكره أن نتمسك بالقرآن ويجاهدنا لنبتعد عن كتاب الله -عز وجل-؛ فلا بد أن نجاهد أنفسنا ونجاهد أهل الباطل ونتمسك بكتاب ربنا -سبحانه وتعالى-، نقرأه ونتدبره ونعمل به، بل لا يكن في صدرنا حرج منه.

[1] - وقد تركتُ فيكم ما إنْ تَمَسَّكتم به لم تَضلُّوا كتابَ اللهِ وعِتْرَتِي أهلَ بيتِي لن يَتَفَرَّقا حتى يَرِدا على الحوضِ

ابن العربي (ت ٥٤٣)، عارضة الأحوذي ١٥٩/٧ • صحيح •

أنزل الله -عز وجل- إلينا القرآن لكي ننشره للعالم ونجاهد أنفسنا به، { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }[الفرقان:١]، لا لطائفةٍ معينة ولكن للعالمين نذيرًا.

من سور القرآن التي خصَّها الله -عز وجل- لتشريف النبي -صلى الله عليه وسلم-، وللدفاع عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-: سورة الضحى، وسورة الشرح، وسورة الكوثر.

هناك سور نزلت لتدافع عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، حينما يقع المشركون في نبينا -صلى الله عليه وسلم- يَخُصَّ الله -عز وجل- سورًا بالدفاع عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وكأن وقوعهم في النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرٌ عظيمٌ، لا بد أن نتوقف عنده لندافع عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-. فكما أن الله -عز وجل- أنزل سورًا خالصةً للدفاع عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- فكذلك لا بد علينا نحن أن نتوقف للدفاع عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

من هذه السور؛ سورة الضحى، هذه السورة العظيمة التي نزلت على قلب نبينا -صلى الله عليه وسلم- أدخلت عليه السرور والفرحة.

نزلت هذه السورة بعد فترة من فتور الوحي، الوحي نزل أول ما نزل بـ: { اقْرَأْ... }[العلق:١]، ثم حدث نوع من الفتور-توقف-، ثم نزلت سورة المدثر ونزل الوحي وتتابع، نزلت سور متتابعة على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ثم مرَّ الوحي بفترة فتور أي: توقف، انقطع الوحي لفترة معينة.

في هذه الفترة التي انقطع فيها الوحي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، اشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يقم ليلة أو ليلتين، انظر غياب الوحي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أدّى إلى تعبه، أدّى إلى مرضه، أدّى إلى تألمه، فاشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم- في بدنه -صلى الله عليه وسلم-، فلم يقم ليلة أو ليلتين.

انظر تعداد الليالي التي لم يقم فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونحن نعدُّ الليالي التي نقوم فيها الليل!، عَدُّوا الليالي التي لم يقم فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- الليل.

انقطاع الوحي أدّى إلى تأثره -صلى الله عليه وسلم-، وقيل: أنه لما انقطع الوحي فلم يقم الليل فاشتكى وزاد ألمه. ((**كلما ابتعد الإنسان عن القرآن، كلما ابتعد الإنسان عن القيام اشتكى وتألم، تصرخ الروح لأنها عطشى، تريد هذا الغذاء، أنها تريد أن تنهل من كلام الله**)).

كيف يعيش الإنسان بعيدًا عن كلام الله! ليلة أو ليلتان تألم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فما بالنا نبتعد عن القرآن! ونهجر كتاب الله -سبحانه وتعالى- ولا نقوم به الليل! كيف يطمئن قلب المؤمن وهو يعيش بعيدًا عن كتاب الله -سبحانه وتعالى-!.

فاشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يقم ليلة أو ليلتين، انتهز المشركون هذه الفرصة، وكأنَّ أمارات التعب وعلامات التعب والتألم ظهرت على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعلم المشركون بذلك، أي أن نزول الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- كان له أثرٌ ظاهريٌّ للناس، كان ينزل عليه الوحي فيتغير فيُغيِّر -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن عباس: "كان جبريل ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في رمضان يدارسه القرآن وكان أجود ما يكون في رمضان"[٢]. كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أجود ما يكون في رمضان، أي أنه لما يتدارس القرآن يحدث له تغيير فيصبح النبي -صلى الله عليه وسلم- أجود ما يكون في رمضان، أكثر فترة يجود فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- -وهو الجواد المطلق دائمًا؛ لكن كانت أكثر فترات الجود في رمضان، لماذا؟ لأنه كان يتدارس القرآن مع جبريل، فالتغيُّر يكون بالقرآن، ثم تغيير الناس بالقرآن.

لما انقطع الوحي فترةً لحكمةٍ منه سبحانه وتعالى، حتى يشتاق النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الوحي مرةً أخرى؛ والإنسان يحتاج إلى فترات يعيد فيها ويكرِّر ما نزل عليه من الوحي ويتدرب على التكرار ويستعمل هذا الوحي والقرآن في حياته. الشاهد لما انقطع الوحي ظهرت الأمراض على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعلم **المشركون** فانتهزوا هذا الموقف، وقالوا: **"ودَّعه ربه وقلاه!"** قلاه أي: كرهه وأبغضه، حاشاه -صلى الله عليه وسلم-.

المشركون انتهزوا هذه الفرصة، وكأن المشركين كانوا يؤمنون بنزول الوحي حتى يؤمنوا بانقطاعه! المشركون انتهزوا انقطاع الوحي فترة معينة لحكمةٍ من الله -عز وجل-، وتربية منه لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، فهو رب العالمين يُربِّي العالَم ويربِّي أولياءه خاصةً، ومن أخصّ أوليائه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- . المشركون انتهزوا الفرصة ،وأشاعوا وقالوا ودَّعه ربه وقلاه؛ تأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك وتألم لذلك.

---

[٢] - [عن عبدالله بن عباس:] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان من أجودِ الناسِ وأجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاهُ جبريلُ يلقاهُ كلَّ ليلةٍ يُدارِسُهُ القرآنَ فكان رسولُ اللهِ ﷺ حين يلقاهُ جبريلُ أجودَ من الريحِ المرسلَةِ
أحمد شاكر (ت ١٣٧٧)، مسند أحمد ١٨٠/٥ • إسناده صحيح •

أشدُّ اللحظات تمر على الإنسان الذي يذوق مرارة البعد بعد أن ذاق حلاوة القرب. أرأيت الإنسان عندما يصلي القيام في رمضان، ويقرأ القرآن، ويبكي، ويقوم الليل، تجده في شوال لو انشغل بالعيد وبعد العيد، وعاد للمشاغل وابتعد عن القرآن تجده متألما، هو لا يعرف مِمَّ يشتكي، في صدره فجوة كانت مملوءةً بالوحي وبالقرآن والدعاء وبالبكاء والتضرع، أصبح مكانها فجوة لا يسدُّها شيء، أصبح بداخله فاقةٌ وفقرٌ وجوعٌ لا يسده شيء، لا يسده لهوٌ ولا لعبٌ ولا لغوٌ ولا صحبةٌ.

الإنسان سُمِّيَ إنسانًا لأنه يأنس، أي: يحتاج إلى من يأنس به، ولما خلق الله -عز وجل- آدم في الجنة خلق له حواء ؛لأن الجنة بدون أن يأنس الإنسان لا تصبح جنة، ومن نعيم الجنة أن نكون على سرر متقابلين -أسأل الله -عز وجل- لي ولكم الجنة-.

الإنسان أحيانًا يقع في ظروف لا يستطيع أن يرتبط فيها بأحد، هنا يأنس الإنسان بكلام ربه. الإنسان ضعيف ويحتاج إلى دعم خارجي، فحينما يتلقَّى كلام الله يَصْبِر ويتَصَبَّر، من الممكن أن يمر الإنسان بمشكلة؛ فيسمع آيةً واحدةً تُصبِّره على ذلك.

أحد الفلسطينيين ظلَّ فترةً طويلةً في سجون الإسرائيليين في الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وبعدما خرج قص قصته وما رآه من قسوةٍ وغلظةٍ وتعذيبٍ من اليهود، فسأله رجل: وكيف كنتم تصبرون على هذا؟ قال: **"بقراءة القرآن، كنا نذكر الله ونقرأ القرآن فنتأسَّى بصبر أولي العزم من الرسل ونتأسَّى بصبر الأنبياء"**.

لما قال المشركون: {لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً... }[الفرقان:٣٢]، قال -عز وجل-: {كَذَٰلِكَ} أي: نزل القرآن مُفرقًا مُنجَّمًا، { ...كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ... }[الفرقان:٣٢]. تمر على النبي -صلى الله عليه وسلم- أوقات يحتاج فيها إلي تثبيت بالقرآن { لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ }.

فنحن نحتاج إلى تثبيت القرآن... فعندما يبتعد الإنسان عن القرآن لا يثبت في الفتن، ولا يستطيع أن يتحمل ألم الحياة ومرارة البعد عن كلام الله وأذى الناس وصعوبات الحياة والكبد الذي يعانيه. فهو يتصبر بالقرآن، ويقرأ في القرآن عن الأنبياء الذين صبروا وجاهدوا وبذلوا، وعن رحمات الله التي تنزل تترًا على العابدين والمخلصين والمجاهدين، فيصبر ويتصبر ويتأسى بهؤلاء. {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}[هود:١٢٠].

فلما غاب الوحي فترة عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: تألم خاصةً أنه اشتاق إلى القرآن، اشتاق إلى الوحي. فنزل قول الله –عز وجل– يقسم ليُطمئن النبي –صلى الله عليه وسلم–: ما تركتك وما ودعتك، { وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }[الضحى:١-٣].

كلمة { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } يشتاق إليها المؤمن، يا الله! ليتنا نسمع هذه الكلمة! تخيل أن الله يقول لك: لا تخف، أنا معك ولن أتركك. فأحيانًا تمر عليك لحظات تكون فيها الابتلاءات متتالية، فمثلا تحدث لك في حياتك مواقف غريبة لا تفهمها، ولسان حالك يقول: يا رب، هل تركتني أم أن هذا ابتلاء؟ يا رب هل أخطأت؟

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو عائد من الطائف والدم ينزل منه يقول لربه –كما روي عنه–: (إن لم يكن بك غضبٌ علي فلا أبالي)[٣]. المهم أن أعلم يا رب هل أنت معي أم لا؟ هل أنت راضٍ عني أم لا؟ هذا ما يهمني فعلًا.

أحيانًا تمر على الإنسان لحظات يتمنى أن يسمع هذه الكلمة: أن يقول الله له: أنا معك، أنا راضٍ عنك، هذا مجرد ابتلاء لك، اصبر! لما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يشتاق إلى نزول جبريل، عندما يغيب عنه فترة فيقول لجبريل: لا تغب عني، (هلا تزورنا أكثر مما تزورنا!)[٤] فنزل قول الله –عز وجل–: { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ }[مريم:٦٤]، جبريل عبد، { ...لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ... }[مريم:٦٤]. وانتبه للختام: { ...وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا }[مريم:٦٤]. إياك أن تظن أن الله سبحانه نسيك لمجرد أنك تمر بفترة ابتلاءات أو مشاكل، أبدًا! الله سبحانه معك. ففي فترات انقطاع الوحي، إياك أن تظن أن ربك نسيك، فالله معك.

عندما كان إبراهيم –عليه السلام– يُلقى في النار كان الله معه ولم يتركه. عندما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– في الغار كان الله معه ولم يتركه. عندما كان يوسف –عليه السلام– في السجن كان الله معه ولم يتركه. عندما كان يونس –عليه السلام– في بطن الحوت كان الله معه ولم يتركه. عندما كان أيوب –عليه السلام– في البلاء كان الله معه.

---

[٣] - إن لم يكنْ بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي.
الألباني (ت ١٤٢٠)، فقه السيرة ١٣٢ • ضعيف •

[٤] - [عن عبدالله بن عباس] : قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: ما يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ ممَّا تَزُورُنا، فَنَزَلَتْ: {وما نَتَنَزَّلُ إلَّا بأَمْرِ رَبِّكَ له ما بيْنَ أيْدِينا وما خَلْفَنا}
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٣١ • صحيح •

فمهما طال عليك البلاء تذكر أن الله معك، { ...وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا }[الفرقان:٦٤-٦٥]...لكن ماذا أفعل في هذه الفترات الصعبة؟ { ...فَاعْبُدْهُ... }[الفرقان:٦٥]، استمر في العبادة. لكني غير قادر! { ...وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ... }[الفرقان:٦٥]، جاهد نفسك. { ...هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }[الفرقان:٦٥]؟! قيل: معنى { سَمِيًّا } أي: مساميًا أي مشابهًا، هل تعلم أحدًا غير الله يرحمك؟ هل تعلم أحدًا غير الله يرزقك؟ هل هناك أحد من الناس يعطف عليك أو يرحمك أو يلطف بك مثل الله -سبحانه وتعالى-؟ أبدًا!... إذًا اصطبر لعبادته.

فبدأ الله السورة بقسم، فالسورة لم تبدأ ب"ما ودعتك"... لا، بل بدأت بـ{ وَالضُّحَىٰ } كأن الله يقول: كما أني أخرج الضحى بعد الليل كذلك سوف يعود إليك الوحي بعد الانقطاع.

{ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ }[الضحى:١-٢]، {سجى}: كلمة في اللغة معناها: أن الليل طويل وبطيء كأنه لا يتحرك. فالجسد المسجّى:هو المغطى الذي لا يتحرك. كأن الليل أصبح طويلًا لا يمر، تمر على الإنسان فترات ابتلاء يمر عليه الليل وكأنه سنة. فانظر شعور انقطاع الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الليل يمر عليه كأنه سنة، كأن الليل لا ينتهي. فكيف نبتعد عن القرآن وكأنه أمر عادي؟ كيف نمارس حياتنا بشكل عادي؟ انظر إلى شعور النبي -صلى الله عليه وسلم- عند انقطاع الوحي ليلة أو ليلتين: قال الله -عز وجل-: { وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ } أي: طال وركد حتى كأنه لا يسير.

فيقول الله -عز وجل-: { وَالضُّحَىٰ }؛ أي أن نور القرآن الذي نزل لن يخفت أبدًا، نور الشمس قد يخفت، ولكن نور الوحي لن يخفت أبدًا أبدًا! { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }[النجم:١-٢]: قد يسقط النجم وينطفئ، لكن نور القرآن لن ينطفئ... { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }[النجم:٢]، ونور نبينا -صلى الله عليه وسلم- لن ينطفئ.

{ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ }: قيل إن الضحى أقسم الله به؛ لأن الضحى فترة النشاط والحيوية والعمل والبذل والجهد، والليل فترة الراحة. فكأن الإنسان يحتاج أن يجتهد ويبذل، ويحتاج أيضا إلى الراحة. يحتاج إلى المراوحة بين هذا الوقت وهذا الوقت. وقيل إن الضحى فترة البذل لنصرة الدين، والليل فترة الخلوة مع الحبيب، مع الله -سبحانه وتعالى-، مع الودود -سبحانه وتعالى-. فأنت تحتاج إلى هذا الوقت وتحتاج إلى ذاك الوقت.

ولكل وقت طاعة ولكل وقت عبودية: في البلاء هناك عبودية، في العافية هناك عبودية. كل وقت في حياتك له طاعة، في النجاح هناك طاعة، في البلاء طاعة، عند الرزق طاعة، وعند المنع طاعة. لا تتوقف

عن الطاعة أبدًا، فإياك أن تتحجج بالظروف. لذلك قال الله -عز وجل-: { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ...}[مريم:٦٥]، أيًّا كانت الظروف، {... وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ...}[مريم:٦٥] أيًّا كانت الظروف جاهد نفسك أن تبذل في أوقات الطاعة.

{ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }[الضحى:١-٣]، من البُشريات التي قالها العلماء أنه عندما يخص الله -سبحانه وتعالى- الأنبياء بكرامة مثل كلمة { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ } للنبي -صلى الله عليه وسلم-، أو {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}[طه:٤١] لسيدنا موسي -عليه السلام-، مثل هذه الأشياء، يكون للمؤمن نصيبٌ منها على قدر اتباعه -إلا أن يكون شيئًا خاصًا بالأنبياء كالوحي مثلًا-، لكنه بالطبع لن ينال نفس حظ الأنبياء.

مرة أخرى: من بشريات ما قاله العلماء أن المؤمن له نصيب من هذه البشريات. فكلمة{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }، هذه الكلمة الجميلة التي لما نزلت على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- اطمأن وسعد وفرح -صلى الله عليه وسلم-، أنت لك نصيب من هذه الكلمة على قدر اتباعك للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

من أين جاءوا بهذا الكلام؟ قال الله -عز وجل-: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ }[الأنفال:٦٤] أي: كافيك الله. { وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }[الأنفال:٦٤] أي: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله: أي يكفيهم الله أمورهم. إذًا لما قال ربنا أن الله -عز وجل- يكفي المؤمنين أمورهم قال تعالى: على قدر الاتباع { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ...}[الأنفال:٦٤]، على قدر اتباعهم للنبي -صلى الله عليه وسلم-. كما يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكفاية على قدر الاتباع والناقصة بالناقص"**.

إذا أردت أن يكفيك الله همومك ومشاكلك ويرتب لك حياتك ويدبر لك أمورك ويشرح لك صدرك، اتبع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالكفاية على قدر الاتباع. الله يكفيك همومك على قدر اتباعك للنبي -صلى الله عليه وسلم-، **"والناقصة بالناقص"**، فكلما نقصت في الاتباع ستقل الكفاية وسيقل التوفيق.

{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }: الوداع: يمكنك أن تُكِّن الحب لأحد لكن الظروف تضطرك لتركه. و{ قَلَىٰ } أي:الكُره، فنفى الله -عز وجل- أنه ودعه وأنه قلاه. قال: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } أي: ما تركتُك لحظة، كنتُ معك، حتى في فترات انقطاع الوحي أنا معك. { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ }: أنا ربك فكيف أتركك! أنا الذي أربيك، فكيف أتركك! .

{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }: يقول علماء التفسير كلمةً جميلةً في هذا الموضع: أن الله سبحانه لم يقل "ما ودعك ربك وما قلاك" كما قال: { مَا وَدَّعَكَ }... { قَلَىٰ } بمعنى: كَرِه، فالله سبحانه لم يضع كاف الخطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– مع كلمة الكراهية؛ **حتى لا تجتمع كلمة الكراهية مع كاف الخطاب–الضمير– العائد على النبي –صلى الله عليه وسلم–. فانظر إلى جمال التعبير القرآني!** فقال الله: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }، أنت ممكن أن تظل مع أحد تكرهه، وممكن أن تتركه لكن تحبه،ربنا يقول للنبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا لم أتركك ولم أكرهك...الله أكبر { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ }، هل معنى أن الله يقول له أنا لم أتركك أن نعمي ستتوقف؟ أبدا>>>{ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ }[الضحى:٤]، قيل: الآخرة أي: الحياة الآخرة، وقيل: الآخرة: الحالة الآخرة، أي: كل لحظة ستمر عليك، ستكون أفضل من التي قبلها، أي: أنت اليوم في مكة... المدينة ستكون أفضل من مكة والدين سينتشر أكثر. { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ }، كل يوم سيمر عليك يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– طالما أنت مجتهد في الدعوة، وفي القيام ،طالما أنت مجتهد في فترات الضحى، وفترات الليل، طالما أنت مصطبر لعبادتي كل فترة ستأتي عليك ستكون أفضل مما قبلها، حالك سيكون أفضل.

إذًا تريد أن ترتقي في علاقتك بالله اجتهد في الطاعات، تريد أن يكون كل يوم يمر عليك أفضل من الذي قبله؟ اجتهد في الطاعات، اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى تنال هذا الشرف.

{ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ }، ليس ذلك فقط { وَلَسَوْفَ }، لام التأكيد والقسم، { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ }[الضحى:٥]، الله أكبر! ما زالت العطايا ستأتي... في ماذا؟ العلماء يقولون لما قال الله –عز وجل–: ولسوف يعطيك، ماذا سيعطيك؟ هل سيعطيك الجنة؟ أم هل سيعطيك النصر للأمة؟ أم هل سيعطيك القرآن؟ أم هل سيعطيك الشفاعة في الآخرة والمقام المحمود؟ ماذا سيعطيك؟ { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ }ماذا سيعطيك ربك؟ المفعول حُذف، لماذا؟ عطايا الله لا تنتهي، لم يذكر الله –عز وجل– ما هو العطاء ولكن **ذكر حد العطاء وهو الرضى**، أي: يقول الله –عز وجل– له: سأعطيك حتى ترضى، الله أكبر!

قال سيدنا موسى: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ}[طه:٨٤] وقال الله لنبينا –صلى الله عليه وسلم–: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ } الله أكبر!، سيدنا موسى يقول: أنا سأبذل إلى أن ترضى يا رب، والله يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– سوف أعطيك حتى ترضى، { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ }

أي: فسوف ترضى عن عطاء الله وكيف لا ترضى عن عطاءه وهو ناصرك! وهو حسبك! وهو وليك! وهو ربك! وهو كافيك! { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ }.

أيضًا هنا إشارة إلى أن عليك أن ترضى بعطاء الله، حتى لو بدا لك غير ما تحب ، أنت ممكن أحيانًا تتعجب لمَ يعاملني الله هكذا؟! الشيطان يأتيك بهذه الوساوس، لمَ حدث هذا الموقف؟! لماذا يا رب؟! أنت تريد أن تقترح علي الله!،مع أن الأمور لو رُتبت على هواك دائمًا لساءت، قال الله –عز وجل–: { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ... }[الحجرات:٧] أي: لو الشرع جاء على هوانا لفسدت الدنيا، { ...لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ... }[الحجرات:٧]أي: لأصابكم العنت والمشقة.

كذلك لو جاء القدر على هوانا لفسدت الدنيا، أنت دائمًا يُهيأ لك أن هواك هو الصحيح!، أن الأفضل أن يحدث كذا!، وأنت لا تدري الغيب، ولا تعلم الحكمة، ولا تعلم لطف الله –سبحانه وتعالى–. فارضَ بعطاء الله لك، ارضَ بقسمة الله لك، ابذل وجاهد وأطع الله –عز وجل– في كل الأوقات حتى في أوقات الابتلاءات، { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ }[الأنبياء:٨٣-٨٤] لمن؟ { وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ }[الأنبياء:٨٤] أي: أن عطاء الله للعابدين، عطاء الله للمخلصين، عطاء الله للمجاهدين، عطاء الله للمتقين، للمحسنين رحمة {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}.

إذًا ثلاث آيات بعد القسم، ثلاث عطايا من الله، الأولى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ}،

الثانية: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ}،

الثالثة: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}.

القلب المشتاق لما يسمع هذه الآيات يتوق ويشتاق إلى أن ينال جزءًا من هذه الآيات، يتمنى أن يقول له الله جزءًا من هذه الآيات، جزءًا من هذه العطاءات.

تريد هذه العطايا اجتهد، تريد هذه العطاءات من الله –عز وجل– اجتهد في الضحى، واجتهد في الليل، اجتهد في الدعوة، اجتهد في القيام، اجتهد في نصرة دين الله في اتباع رسولك –صلى الله عليه وسلم–.

{ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ }، قسم من الله -عز وجل- أن عطايا الله -عز وجل- للرسول -صلى الله عليه وسلم- لن تتوقف ولن تنتهي عليه وعلى أمته، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لن يرضى ولم يرضَ إلا أن يطمئن على أمته.

حين بكى -صلى الله عليه وسلم- فقال الله -عز وجل- يا جبريل انزل إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- واسأله ما يبكيك -وهو أعلم سبحانه وتعالى- فنزل جبريل للنبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله لماذا تبكي؟ فقال-صلى الله عليه وسلم-: خوفًا على أمتي-خوفًا علينا- فعاد جبريل إلى الله وأخبره، فقال الله -عز وجل- انزل إليه وأخبره أننا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك... سنرضيك في أمتك! [٥]

النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يرضَ إلا لما اطمأن على أمته. النبي -صلى الله عليه وسلم- كان نعيه قرب وفاته حينما اطمأن على أمته، والسورة التي نعت النبي -صلى الله عليه وسلم- سورة النصر { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }[النصر:١-٢]، بهذا اطمأن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولله المثل الأعلى؛ الأب يصرف على ابنه ويخاف عليه، فعندما ينجح ابنه ويتزوج وينجب يقول له: يا بني أنا لم أعد أريد شيئًا من الدنيا، أنا سأموت وأنا مطمئن.

النبي-صلى الله عليه وسلم- حين سمع قول الله: { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }[النصر:٢]، اطمأن النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته، لما طمأنه الله -عز وجل- عليهم في الدنيا، وفي يوم القيامة بالشفاعة وبحوضه -صلى الله عليه وسلم-، اطمأن النبي -صلى الله عليه وسلم- .

فقوله سبحانه: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ }-أي: حتى ترضى على أمتك- من بشريات الخير التي سوف تأتي للأمة، نسأل الله -عز وجل- أن نكون من أتباع نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

---

[٥] - [عن عبدالله بن عمرو] :أَنَّ النبيَّ ﷺ تلا قَوْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبْراهِيمَ: {رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي} [إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ، وقالَ عِيسى عليه السَّلامُ: {إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وبَكى، فقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، وربُّكَ أعْلَمُ، فَسَلْهُ ما يُبْكِيكَ؟ فأتاهُ جِبْرِيلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَسَألَهُ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ بما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللَّهُ: يا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوءُكَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٠٢ • [صحيح] •

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمدًا –صلى الله عليه وسلم–:

أحيانًا الإنسان لما يبتليه الله –عز وجل– ببلاء، أيًّا كان الابتلاء: في الأهل، في الولد، في المال، في الصحة، لما يطول البلاء فترة؛ الإنسان يعيش في أسر هذه اللحظة، ويظن أن هذا البلاء لن ينتهي، يظن أن هذا البلاء سيطول، وينسى الماضي، ويغفل عن المستقبل، في هذه اللحظات يحتاج الإنسان أن يتذكر نعم الله –عز وجل– الماضية، تحتاج أن تتذكر كيف لطف بك الله وأنت ما زلت نطفة وجنين، { ...يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ... }[الزمر:٦]، الذي لطف بك وأنت في بطن أمك، وأنت لا تملك أي سبب، وأنت لم تبذل أي طاعة بعد، يلطف بك وأنت قوي، ويلطف بك وأنت مطيع، في هذه اللحظات يحتاج الإنسان أن يتذكر النعم الماضية.

فقال الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– حينما فتر عنه الوحي فقال له: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ }[الضحى:٦]، تذكر النعم الماضية حتى تستبشر بالنعم المستقبلية، تذكر لطف الله بك في المواقف السابقة، تذكرماذا فعل **الله** لك، { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ }، ليس لأحد مِنة على النبي –صلى الله عليه وسلم– مات أبوه وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمه بعد ذلك وهو صغير، ثم مات جده، ثم ذهب إلى بيت عمه، ثم مات عمه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يحب أمه فتموت، يحب جده فيموت، يدافع عنه عمه فيموت، يحب زوجته خديجة فتموت، يحب مكة فيخرج منها، الله –عز وجل– يتولاه؛ لذلك قال الله –عز وجل–: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ }، لم يقل ألم يجدك يتيمًا فأطعمك، أو ألم يجدك يتيمًا فأغنيتك، قال: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ }، لفظ المأوى، المأوى :مكان الطُّمأنينة.

حينما تأوي إلى شيء تطمئن، فيخبره الله –عز وجل– بالرغم من كونك يتيمًا آواك الله، وأعطاك، وحفظك–سبحانه وتعالى–، ولو حتى بدون أسباب!؛ تولى الله رعايتك، فلا تنشغل بالخلق وانشغل بالله. أحيانًا تريد أن تحسبها بالأسباب وأنت في مشكلة، فتقول كيف ستُحَل؟! توجَّه إلى الله، وثق في الله، وتذكر أن الله –عز وجل– يرزقك، يرزقك من حيث لا تحتسب، فأنت لا تعرف من أين سيأتي الحل، ارضَ بقسمة الله –عز وجل– لك، وتوجه إلى الله –سبحانه وتعالى– وأنت على يقين.

{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ }[الضحى:٦-٧]، ضالًا عن الوحي، النبي –صلى الله عليه وسلم– علم أن الذي يفعله المشركون –من عبادة الأصنام– خطأ، وما يفعله اليهود والنصارى في

وقته خطأ، وأنهم أصابتهم لوثة الشرك والتحريف، النبي -صلى الله عليه وسلم- ينظر إلى السماوات ويختلي في الغار ثم يريد أن يبحث: كيف يعبد الله -عز وجل- على مراده، يريد أن يصل، أيقن أن هذا الوضع خاطئ، لكنه يريد أن يصل إلى مراد الله الحق على الطريقة التفصيلية التي يعبد بها الله.

أثقل شيء على صدر الإنسان أن يتمنى أن يصل إلى الله ولا يعرف، لحظات البحث عن الحق عندما تُحكَى، عندما تسمع شخصًا يحكي قصة إسلامه وترى اللحظات التي مر بها من معاناة حتى يصل إلى الإسلام الدين الحق، هذه اللحظات ثقيلة جدًّا على النفس.

فالله -سبحانه وتعالى- يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- كشفت عنك هذا الغم { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ}، أنزلت عليك الوحي، كلمتك، سبحان الله! لذلك قيل من معاني قول الله -عز وجل- في السورة التي تليها: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}[الشرح١-٢] الوزر: الحمل الثقيل، قيل: من معانيها أي بَيَّنا لك كيف تعبد الله، تخيل! حمل ثقيل أنك تتمنى أن تعرف مراد الله، تتمنى أن تصل، هذا شعور الإنسان الذي يتمنى أن يُرضي الله، وأول ما يعرف مراد الله يطمئن، يقول أخيرًا عرفت ماذا يحب الله!.

لذلك الآية التي ينتظرها المحبون {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ...}[ال عمران:٣١] ماذا أفعل؟ من يحب الله بشدة أولَ ما يسمع هذه الآية يقول: نعم أنا أحب الله أخبرني ماذا أفعل { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ... }، ماذا نفعل؟ { ...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...}[ال عمران:٣١]، اتبعوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، سبحان الله! أي أخيرًا عرفت ماذا يحب الله، يحب أن أتبع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، من يحب الله يتبع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. فقال الله -عز وجل-: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}.

القضية ليست فقر المادة، وإن كان الله -عز وجل- أغناه بعد ذلك فجمع الله لنبينا مقام الفقير الصابر والغني الشاكر، جمع الله لنبينا -صلى الله عليه وسلم- بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر -صلى الله عليه وسلم-، من الأنبياء من صبر على المرض والبلاء والفقر، ومنهم من شكر على الملك وعلى الغنى، فجمع الله لنبينا -صلى الله عليه وسلم- بين الفقير الصابر والغني الشاكر.

وأيضًا، {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ}[الفرقان:١] بصحبة، بصحبة الأنصار،بصحبة الصديق، من معاني أن الله يمن عليك أن يرزقك الصحبة الصالحة، أن الله يرزقك أحدًا تصحبه في طريقك إلى الله -عز وجل-، وقيل أن هذا من معاني قول الله -عز وجل-: {ألم يجدك يتيمًا فآوى}[الفرقان:١] أن آواك إلى

الأنصار، إلى المدينة، آواك إلى صحبة تساعدك لنصرة الدين، دين الله -سبحانه وتعالى-، بعدما قال له الله تذكر النعم الماضية قال له اشكر هذه النعم.

قال له ثلاث نعم: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}[الضحي:٦-٨]، وقال له الله في مقابلها ثلاثة أشياء:

*مثلما قال الله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ}[الضحي:٦] لا بد أن تشكر النعمة، {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}[الضحي:٩].

الله يعطيك مالًا إذًا تُعطي الناس مالًا، مثلما أعطاك الله صحة إذًا تساعد الناس بصحتك، مثلما أعطاك الله علمًا إذًا تُعلم الناس، ما أعطاك الله تُزكِّي منه، { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ}، فربنا قال له: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}، فكلمة آوى هذه تخص الله، أما أنت دورك ألا تقهر اليتيم، {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}.

*{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}[الضحي:١٠] ، قالوا هذه مقابل قول الله -عز وجل-: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}[الضحي:٧]. هي ثلاثة مقابل ثلاثة، الآية التي في المنتصف: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} أي: فعلمك القرآن، لذلك قال العلماء {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}[الضحي:١٠]أي: طالب العلم، ليس فقط سائل المال، بالطبع سائل المال أعطِه ولا تنهره، لكن أيضًا طالب العلم من يريد أن يتعلم لا تنهره والطف به، لذلك عندما كان يأتي وفد للنبي -صلى الله عليه وسلم- يتعلم؛ يقوم النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم ويهش ويبش ويقول لهم:(مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى)[٦]، يبشرهم، { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }[الأنعام:٥٤]، أول ما يأتون لك قل: {سلام عليكم}، أنتم تدخلون لأفضل مكان، { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }، أول ما يأتي أحد إلى طريق الدين لا بد أن تبشره بالرحمة وبالسلام، {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، قل لهم أنتم تدخلون طريقًا كله

---

[٦] - [عن عبدالله بن عباس:] إنَّ وفْدَ عبدِ القَيْسِ أتَوُا النبيَّ ﷺ فقالَ: مَنِ الوَفْدُ أوْ مَنِ القَوْمُ قالوا: رَبِيعَةُ فقالَ: مَرْحَبًا بالقَوْمِ أوْ بالوَفْدِ، غيرَ خَزايا ولا نَدامى قالوا: إنّا نَأْتِيكَ مِن شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وبيْنَنا وبيْنَكَ هذا الحَيُّ مِن كُفّارِ مُضَرَ، ولا نَسْتَطِيعُ أنْ نَأْتِيَكَ إلّا في شَهْرٍ حَرامٍ، فَمُرْنا بأَمْرٍ نُخْبِرُ به مَن وراءَنا، نَدْخُلُ به الجَنَّةَ. فأمَرَهُمْ بأَرْبَعٍ ونَهاهُمْ عن أرْبَعٍ: أمَرَهُمْ بالإيمانِ باللَّهِ عزَّ وجلَّ وحْدَهُ، قالَ: هلْ تَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ وحْدَهُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصَوْمُ رَمَضانَ، وتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ ونَهاهُمْ عَنِ الدُّبّاءِ والحَنْتَمِ والمُزَفَّتِ قالَ شُعْبَةُ: رُبَّما قالَ: النَّقِيرِ ورُبَّما قالَ: المُقَيَّرِ قالَ: احْفَظُوهُ وأَخْبِرُوهُ مَن وراءَكُمْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٨٧ • [صحيح] •

رحمات، أنتم تدخلون طريق الالتزام بالدين... كله رحمات، { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } حتى لو عملت سوءًا يغفره الله –عز وجل–.

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:٩-١١].

*الأخيرة {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ}[الضحى:٨] كما أعطاك الله نعمًا تحدث بهذه النعم، وأعظم نعمة على النبي –صلى الله عليه وسلم– التي بشره الله –عز وجل– بها في هذه السورة أنها لن تنقطع إلى أن يموت هي نعمة القرآن، إذًا أعظم نعمة يتحدث بها النبي –صلى الله عليه وسلم– وينشرها نعمة القرآن، أعظم نعمة عليك نعمة القرآن، وأكبر نعمة لا بد أن تتحدث بها مع الناس نعمة القرآن. (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ)[٧] أي: عندما تحب أن ترى شخصًا وتقلده –الحسد هنا بمعنى الغِبطة– ليس في المال بل في إنفاق المال، وليس في مجرد القرآن بل في تلاوته والقيام به والعمل به، بمعنى أن أي شيء آخر في الدنيا لا يساوي شيئًا.

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:١١]، تحدث بنعم الله عليك؛ لكن لمن يحبونك، لا تكثر من الشكوى {...إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...}[يوسف:٨٦]، لا تكثر من الشكوى للخلق لن ينفعوك بشيء. تجد شخصًا غارقًا في نعم الله وعنده مرض بسيط، يكثر من تكرارالشكوى من هذا المرض، ولو عدَّ نعم الصحة التي هو فيها لما توقف عن الكلام.

لماذا دائمًا نتذكر المشاكل وننسى النعم؟! بعد ذلك في تفسير قول الله –سبحانه وتعالى–: {إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[العاديات:٦]، قال الحسن البصري: "**يعدُّ المصائب وينسى النعم**" يظل يعدُّ على الله.. أنت فعلت بي موقف كذا يوم كذا.. يعدُّ المصائب وينسى النعم!

إذًا أحبتي في الله... هذه السورة نريد أن نقرأها وأن نتعلمها وأن نُعلِّمها لأهلنا وأولادنا وجيراننا ونكثر من قراءة هذه السورة، نتعلم لو آية في كتاب الله –عز وجل–، كان نبينا –صلى الله عليه وسلم– قرآنًا يمشي على الأرض، فمن اتباعنا له أن نكون ولو سورة تمشي على الأرض، ولو آية، فتعلم آية من كتاب

[٧] - [عن أبي سعيد الخدري:] لا حَسَدَ إلّا في اثنَتَيْنِ.. فذكَر مِثلَهُ سَواءً. [أي: حَديثَ: لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ أعطاه اللهُ القُرآنَ، فهو يتلوه آناءَ اللَّيلِ والنَّهارِ، فسَمِعَه رجُلٌ، فقال: يا ليتَني أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتِيَ هذا، فعَمِلتُ فيه مِثلَ ما يَعمَلُ فيه هذا! ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكُه في الحَقِّ، فقال رجلٌ: يا ليتني أوتيتُ مِثلَ ما أُوتِيَ هذا، فعَمِلتُ فيه مِثلَ ما يَعمَلُ فيه هذا!]
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ١٠٢١٥ • إسناده صحيح على شرط الشيخين • أخرجه أحمد (١٠٢١٥)، وابن أبي شيبة (٣٠٩١٢)، وأبو يعلى (١٠٨٥)

الله خير من الدنيا وما فيها، وكما قال كثير من السلف "**مَنْ أوتيَ القرآنَ فرأى أن أحدًا أوتيَ من الدُّنيا أفضلَ مما أُوتيَ فقد صغَّر عظيمًا وعظَّم صغيرًا**". فقد صغر نعمة الله عليه، ربنا يعطيه القرآن ويظن أن هناك أحدًا في العالم أفضل منه فقد حقَّر نعمة الله -عز وجل- عليه، نعمة القرآن نعمة عظيمة، تألم النبي -صلى الله عليه وسلم- لانقطاعها فترة بسيطة، فما بالنا لا نبالي بابتعادنا عن القرآن!.

نزول الوحي لم يكن باختيار النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما غاب عنه الوحي وليس باختياره تألم، فما بالنا نختار البعد عن القرآن! القرآن معنا، يكون بجوارنا، نحن الذين نختار البعد عن القرآن، وتألم النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمر لم يكن باختياره، فما بالنا لا نتألم بأمر باختيارنا!

اسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته،

اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا،

اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى، اللهم قيض لهذا البلد أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويُؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم اجعل بلادنا آمنةً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اصرف عن بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وعن سائر بلاد المسلمين، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ ألا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.